نص كلمة أ.د سري نسيبه بمناسبة الحفل الذي اقامته لجنة اصدقاء جامعة القدس في ابوظبي دعماً للطلبة الذين يعانون اوضاعا اقتصادية صعبة

١٦ أيار ٢٠٠٩

معالي الدكتور الراعي، الأخ الحنون، الإنسان الفاضل
الشيخ نهيان بن مبارك آل نهيان، حفظه الله وأكرمه
حضرات الأخوات والأخوة الحضور، أجّلكم الله، أصدقاء وناصري الطالب الفلسطيني الجامعي.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
كيف عساني أستهل كلمتي هذا اليوم، يوم النكبة و الأسى الفلسطيني سوى بالقول، دعنا سوياً نذرف دمعة، نودعها في حضن دمعاتنا الستين، نقسم بها أننا لا ولن ننسى.

كما لن ننسى أيضا في هذه المناسبة أخينا جميل عثمان ناصر محافظ القدس وأمين سر مجلس أمناء الجامعة الذي وافته المنية، رحمه الله واسكنه فسيح جناته

الأخوات والأخوة الحضور،
باسم أسرة جامعتكم، جامعة القدس، أتقدم لكل واحد منكم ولكل من عمل جاهداً لإنجاح هذه الأمسية السنوية، الخامسة على التوالي، بعميق الامتنان والشكر. وأحيي فيكم فرادى وجماعة، روحكم المعطاءة، ومواقفكم النبيلة، راجياً لكم جميعاً دوام العافية والازدهار.

أيتها الأخوات والأخوة،
بإمكاني أن أكرّس كلمتي القصيرة هذه الأمسية للتحدث عن جامعتكم، جامعة القدس، والتي أصبحت اليوم تحتضن أكثر من ألف موظف، يخدمون أكثر من عشرة آلاف طالب وطالبة، يدرسون كافة التخصصات، على مستويي البكالوريوس والماجستير، هذه الجامعة التي تتباهى بأنها الجامعة الأكثر غزارة، من بين أخواتها من الجامعات العربية في الإنتاج العلمي، أي في نسبة منشورات أساتذتها إلى عددهم، في المجلات العلمية الدولية المتخصصة والمحكمة. نعم، قد تكون هذه النسبة (٠.٢٥ مقارنة بـ ٠.٢٠) مع ذلك ضئيلة جداً فيما لو قورنت بمثيلاتها في دول العالم، وقد لا تكون ذات شأن لو اعتمدنا كقياس في المقارنة المنشورات العلمية في اللغة العربية، لكنها مع ذلك، وضمن المعطيات، أو قل، المأخوذات، نسبة يمكننا جميعاً أن نرى فيها ضوءاً مشعاً في ظلام احتلالي قاتم. لكنني، وبدلاً من الاسترسال في الكلام عن الجامعة، سوف أكتفي بهذا

القدر من الحديث عنها، لكي أسلّط الضوء في كلمتي القصيرة هذه، على موضوع أعم في غاية الخطورة، هو الظلام الذي يخيّم على المدينة التي تحمل الجامعة أسمها. فهذه مدينة يشغف بها لسان الضاد إلى ما يفوق حد الوصف، بينما يترهل ويتباعد ويتقلص من ورائه حجم الفعل إلى درجة الاختفاء.
وقد يعلم البعض أو لا يعلم أن اتفاق أوسلو الذي دفع بملف القدس إلى ما يسمى بالنهايات، أو المراحل النهائية، والتي لا تبدو أن لها نهاية، قد منع عنها، وفق حيثياته، إمكانية الاستفادة من الدعم المالي الذي سمح بإنفاقه على بقية بلدات ومدن الضفة وغزة المحتلين، فلم تخصص لها في ذلك الوقت، أي خلال سني أوسلو من العام ١٩٩٥ إلى العام ٢٠٠٠، أو بعد ذلك، ميزانية خاصة بها تصرف على مناحيها الحياتية تضاهي ميزانية حتى أصغر بلدة أو مدينة أخرى محتلة. فإذا صرف ما صرف في الأثناء، فلم يكن هذا منظماً، أو كافياً، أو مستمراً، أو مرئياً، أو ذا قيمة، حتى أدى ذلك كله إلى ما نشهده اليوم، من انحسار سببه شح الموارد، أمام خنق متزايد من شدة التفاف أذرع الإخطبوط الاستيطاني من حول الوجود العربي وفي داخله، حتى أصبح هذا الوجود مجّرد شكل، باهت، مترهل، كأن الحياة التي يستنشقها، هي من جهاز اصطناعي، لا يعدو نبضه مجرد رعشة حاسوبية في رسم بياني.

أيتها الأخوات، أيها الأخوة،
تدركون جيداً أن إسرائيل لم تكتفِ باحتلال القدس الشرقية عام ١٩٦٧، بل قامت بضمها، أي بالتمهيد لإحلال نفسها فيها، كما قامت بتوسيع حدودها من خلال مصادرة أراضي محيطة بها، فأضافت خمسين كيلومتر مربع إلى حجمها الأصلي المتكون من عشرين كيلومتر مربع. ثم أتت على خمسة وعشرين كيلومتر مربع، أي على ما يزيد عن الأصل، من هذه المساحة الإجمالية فخصصتها جميعاً للاستيطان، بنيته وسكانه، حتى تمكنت من زرع ما يقارب مائتي ألف مستوطن فيها حتى اللحظة، وقيدت في الوقت ذاته المساحة المخصصة للسكان العرب لحوالي تسعة كيلومتر مربع فقط، بحيث لم تدع مجالاً يُذكر لاستيعاب النمو السكاني العربي الطبيعي، وبحيث فرضت القوانين الصارمة والمبالغ الباهظة لتقييد البناء، حتى بات العرب يبنون مضطروُن دون ترخيص، وحتى تمكن الإسرائيليون من التذرع بذلك ليهدموا ما تم تشييده من بناء، وليفرضوا عليهم فوق ذلك الغرامات بملايين الدولارات، فتم مثلاً تسجيل هدم ستة آلاف وسبعمائة وثلاثين منزلاً حسب الاحصائيات الدولية منذ العام الالفين (٢٠٠٠) الى العام ألفين وثمان (٢٠٠٨)، وتم هدم تسعة عشر منزلاً منذ بدء هذا العام يسكنهم مائة إنسان فلسطيني، بمَن فيهم ستون طفلاً، ويقع تحت طائلة التهديد نفسه خمس عشر ألف وحدة سكنية يقطنها ستون ألف فلسطيني أشيدت بشكل مخالف للقانون الجائر خلال الأعوام الماضية، ونحن اليوم أمام قضية هدم حوالي ثلاثين منزلاً في حيّ سلوان وأحياء أخرى في القدس وضواحيها كجزء من هذا المسلسل الإجرامي بحق الإنسان.

أيتها الأخوات، أيها الأخوة،
ما المشهد الإسمنتي المرعب هذا إلاّ القشرة المتفرقعة للنزيف الداخلي الدامي الذي يعانيه الإنسان المقدسي، الذي أضحى يعيش غريباً على أرضه، دخيلاً في بيته، لا قوت يقتاته إلاّ الفتات الذي يخلفه مغتصبه، فيمتد الهون إلى أرجاء جسمه، وتراه ممزقة أشلاء نسيجه وكيانه، يلفظ أنفاس هويته، قد اهتزت أركان شخصيته، فهل يقدر هذا، وحيداً، منسياً، مهملاً، بائساً، أن يحافظ على عهدته، فيصون القدس لأمته؟

أيتها الأخوات، أيها الأخوة،
كنت يوماً ممَن اعتقد أن الطريق الجذري والواقعي الوحيد للدفاع عن الوجود العربي في القدس هو الحل السياسي، وان الزمن لذلك الحل ليس لصالحنا، إذ ان القضم الاستعماري أو الاستخرابي كما قال أحدهم، جار على قدم وساق، والوقائع على الأرض تقلّص من ما يمكن أن يستعاد، لكن المشهد الذي آلت إليه الأمور اليوم، بات يجعل من ذلك الطريق وهماً، ولم يتبقَ للذود عنه شيء سوى البقاء نفسه، وبصراحة تامة، فلا يوفر الهواء الذي يمكن للنفس المختنقة استنشاقه شيء سوى المال، المال للمدارس، للمعلمين، للمستشفيات، للممرضين، للموظفين، للكتّاب، للمحامين، للأزواج الشابة، للمحلات التجارية، للأندية الرياضية، للمسارح،... فأستجير بكم من على هذا المنبر أيتها الأنفس الطيبة، أن تضيفوا صوتكم إلى صوتنا، وأن ندويّها صرخة عالية، تصل أرجاء الحكم في الوطن العربي الإسلامي، أن هبّوا للنجدة، وأن خصصوا للقدس صندوقاً، أكان صندوق ملك المغرب أو غيره، يكون صندوقاً حياً، ذاخراً، واخراً، يضاهي ولو بنسبه قليلة ما يستثمره يهود العالم، يعيد للقدس أنفاسها، حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً، وأن أكرموا يكرمكم الله.

سيداتي سادتي،
لا تدعوا نزاعاتنا الداخلية المؤلمة والمآسي التي يّعرض بعضنا بعضاً لها، والتي ما هي إلاّ انفجارات ناتجة عن الضغط ألاحتلالي الهائل، تثنيكم عن إيمانكم بصلابة عود من خلفتم في الأرض المقدسة.
فالإنسان الفلسطيني حيٌّ ولو طُمر قسراً في أعماق الأرض، وإن مضينا فثمة عمالقة من بعدنا، عمالقة من أزهار بلادي الطيبة، من تينها وزيتونها، سوف ترفع علماً، بإذن الله، على كنائس القدس، ومآذن القدس، وأسوار القدس، وتعلنها عاصمة آبيّة، وحرّة، تنبض عبادة صخرتها المقدسة، ليس عن الشعب الفلسطيني فحسب، وإنما عن الأمة الإسلامية بأسرها، **فحتى ذلك اليوم الموعود، سلام الله عليكم ورحمته وبركاته.**